مبادئ معرفه القرآن ومناهجه عند الشهيد مطهّري

علي محمد عبدالحسين الصبيحاوي و رضا أقابور

قسم علوم القران والحديث , كلية الالهيات والمعارف, جامعة مازندران ايران

alialiqwd24@gmail.com

الخلاصة

الشهيد مرتضى مطهّري يرى أنّ فهم القرآن لا يقتصر على التلاوة أو التفسير الجزئي، بل يقوم على مبادئ أساسية تشمل: النظر إلى القرآن ككتاب هداية لا مجرد نص تاريخي، وضرورة تفسيره في ضوء العقل والعلم مع الالتزام بالمأثور الصحيح عن النبي وأهل البيت. كما يؤكد على تجنّب الجمود الحرفي والابتعاد عن التأويل البعيد الذي يخرج النص عن معناه. أما مناهجه، فيجمع بين التفسير الموضوعي الذي يربط الآيات وفق القضايا الكبرى كالتوحيد والعدل والمعاد، والتفسير التجزيئي الذي يشرح الآيات ضمن سياقها المباشر. ومن خلال هذا التوازن يرى مطهّري أنّ القرآن كتاب حياة، يعالج مشكلات الإنسان المعاصر بروح خالدة تجمع بين العقلانية والإيمان.

الكلمات المفتاحية: القران الكريم, المبادى الاساسية, الشهيد مطهري

Principles and Methods of Understanding the Qur'an by Martyr Mutahhari

Ali Muhammad Abdul-Hussein Al-Sabihawi and Reza Aqabour

Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Faculty of Theology and Knowledge, University of Mazandaran, Iran

Abstract

Martyr Mutahhari believes that understanding the Qur'an is not limited to recitation or partial interpretation, but is based on fundamental principles, including: viewing the Qur'an as a book of guidance, not merely a historical text, and the necessity of interpreting it in light of reason and science, while adhering to the authentic traditions of the Prophet and his Household. He also emphasizes avoiding literal rigidity and avoiding far-fetched interpretations that would detract from the text's meaning. His methods combine thematic interpretation, which links verses according to major issues such as monotheism, justice, and the afterlife, with partial interpretation, which explains verses within their immediate context. Through this balance, Mutahhari sees the Qur'an as a book of life, addressing the problems of contemporary humanity with an eternal spirit that combines rationality and faith.

Keywords: The Holy Qur'an, Fundamental Principles, Martyr Mutahhari

المقدمة

يحظى القرآن الكريم بمكانة محورية في البنية الفكرية الإسلامية، بوصفه المنهل الرئيسي للمعارف العقائدية والقيم الأخلاقية والأحكام التشريعية. وقد شكلت عملية تفسير النص القرآني وتأويله ميداناً أساسياً للاجتهاد الفكري عبر العصور، حيث تعددت المدارس والاتجاهات في مقاربة النص المقدس، وتباينت الرؤى حول ضوابط الفهم وآليات استنباط الدلالات، وحدود القدرة على إدراك المراد الإلهي عبر الأطر اللغوية البشرية.

ويأتي الشهيد مرتضى مطهّري في طليعة المفكرين الذين قدموا رؤية منهجية متكاملة لفهم القرآن وآليات تفسيره، حيث مزج بين الأصالة الدينية والمنهجية العقلانية، مع الحفاظ على الثوابت الشرعية. وقد اتسمت مقاربته بالجمع بين المنطلقات الإسلامية الرصينة والأدوات التحليلية الفلسفية، مما يضع تصوراته في حيز المقارنة مع المنظورات التأويلية المعاصرة في حقل فلسفة النصوص والدراسات اللغوية. كما تتمثل في هذا الفصل محاولة للتواصل الحضاري بين التراث الإسلامي والفكر المعاصر، سعياً لإبراز خصوصية المنهج القرآني في ظل التحولات الفكرية الراهنة، مع التمسك بالثوابت الشرعية والضوابط المنهجية التي تحكم التفسير الإسلامي للنص المقدس.

المبحث الأول: مبادى معرفه القران

المبحث الثاني: الأسس المعرفية التي ينطلق منها الشهيد مطهّري في فهم القرآن

المبحث الأول

مبادئ معرفة القرآن ومناهجه عند الشهيد مطهّري

يشغل القرآن الكريم موقعاً محورياً في البناء المعرفي والعقائدي للإسلام، فهو ليس مجرد كتاب ديني مقدّس، بل هو المصدر الأول الذي تنبثق منه رؤية الإسلام للكون، والحياة، والإنسان. ولهذا، فإن فهم القرآن لم يكن يوماً شأناً تفسيرياً بحتاً، بل مثّل تحدياً معرفياً مستمراً، تطلّب من المفكرين والعلماء على مرّ العصور ابتكار مناهج دقيقة، تتجاوز القراءة السطحية للنص، وتسعى إلى الكشف عن دلالاته العميقة، ومقاصده الكلية، وامتداداته الحضارية والإنسانية.

وفي هذا الإطار، تبرز تجربة المفكر الإسلامي الشهيد مرتضى مطهّري بوصفها إحدى المحطات المهمة في مسار تجديد الفكر القرآني في العصر الحديث. فقد اقترن مشروعه الفكري بمحاولة واعية لإعادة النظر في الأسس التي تقوم عليها عملية فهم القرآن، وبناء منهج معرفي يتسم بالشمول والعمق والواقعية، يجمع بين الأصالة الدينية والانفتاح على معطيات الفكر العقلي والفلسفي.

ولم يكن اهتمام مطهّري بالقرآن مجرد اهتمام تفسيري تقليدي، بل نظر إلى القرآن كمنظومة متكاملة من القيم والمفاهيم التي تتطلب أدوات خاصة في التعامل معها، تقوم على الوعي بمقاصد الخطاب الإلهي، وفهم البنية الداخلية للنص، واستحضار الواقع الإنساني والاجتماعي الذي يتفاعل معه النص في كل زمان ومكان. كما كان يؤمن بأن الفهم الصحيح للقرآن لا يكتمل إلا بتحقيق التوازن بين العقل والوحي، وبين التأمل الفلسفي والالتزام الإيماني، وهو ما سعى إلى ترسيخه من خلال كتاباته ومحاضراته

أولاً: معرفة القرآن عند الشهيد مطهّري

يبرز الشهيد مرتضى مطهّري كواحد من أعمق العقول الإسلامية التي تعاملت مع النص القرآني برؤية تجديدية [1]، مزجت بين ثوابت التراث الإسلامي ومناهج التفكير الفلسفي الحديث. فقد نظر إلى القرآن الكريم ليس كمجرّد نصّ ديني يُتلى، بل كمشروع معرفي متكامل، يحوي في طياته إجابات عن الأسئلة الوجودية الكبرى، ويقدّم رؤية شاملة للإنسان والكون والحياة .

وقد تميّز منهج مطهّري في قراءة القرآن بالغوص في أعماق النص، مستعيناً بالأدوات الفلسفية لاستخراج دلالاته العقلية والحكَمية، مما جعل تفسيره للقرآن جسراً يربط بين الوحي والعقل، وبين النص والواقع. فمعرفة القرآن عنده لم تكن مجرّد فهم لفظي أو تفسير تاريخي، بل كانت رحلة فكرية تهدف إلى بناء رؤية كونية متكاملة، يستطيع من خلالها الإنسان فهم ذاته ومصيره.

1- مفهوم معرفة القرآن:

يُعرّف مرتضى مطهّري معرفة القرآن بأنها العلم الذي يهدف إلى فهم حقيقة القرآن الكريم من حيث كونه كلام الله المنزل، وما ينبثق عن هذه الحقيقة من خصائص مثل الإعجاز، والهداية، والخلود، وارتباطه بالنبوة والوحي، مع التركيز على الأبعاد المعرفية والروحية في التعامل معه. [2]

ويرى مطهّري أن معرفة القرآن لا تقتصر على استيعاب مضمونه الظاهري أو تفسير ألفاظه، بل تشمل إدراك رسالته الهادية للإنسان في جميع أبعاده، وهو يؤكد أن فهم القرآن يحتاج إلى توازن بين استخدام العقل لفهم المعاني والسياقات، وبين صفاء النفس للاستعداد الروحي لتلقي الهداية. كما يشدد على ضرورة الالتزام بمنهج علمي دقيق في التفسير، يعتمد على اللغة والسياق وأسباب النزول، ويحذر من التفاسير التي تنطلق من آراء مسبقة أو مناهج غير منضبطة.

2- أقسام معرفة القرآن الكريم:

يشكّل القرآن الكريم المنبع الأساسي للمعارف الإلهية [3]، والنور الهادي الذي تستمد منه الأمة الإسلامية أسس عقيدتها ومبادئها التشريعية. وقد انكبّ علماء الإسلام عبر القرون على دراسة كتاب الله تعالى[4]، فأسسوا علوماً متخصصة تتنوع بين التفسير والتدبّر والاستنباط.

وفي هذا الإطار، يأتي الشهيد مرتضى مطهّري كأحد أعمق المفكرين الذين قدّموا رؤية منهجية متكاملة لفهم القرآن الكريم، مزاوجاً بين الأصالة الفكرية والرؤية التجديدية التي تربط النص المقدس بتحديات العصر.

---

[1] مطهّري، الشهيد مرتضى، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ، ص17

[2] مطهّري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، المرجع السابق نفسه، ص11

[3] القمي، الشيخ أحمد الآذري، تحقيق الأصول المفيدة في أصول الفقه، مؤسسة دار العلم للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ج1، ص 252

[4] المدرسي، السيد محمد تقي، المنطق الإسلامي، دار محبي الحسين عليه السلام، طهران، إيران، 1424هـ، ج1، ص328

وقد قدّم مطهّري نظرة شاملة لمعرفة القرآن، معتبراً أنها لا تنحصر في الفهم الظاهري للنصوص، بل تمتد لتشمل أبعاداً معرفية متداخلة - عقلية ووجدانية وحضارية - تكشف عن سعة الرسالة القرآنية وقدرتها على تشكيل الوعي الفردي والجماعي. ومن هذا المنظور، يظهر القرآن كمرجعية متكاملة تقدم حلولاً نابعة من الوحي لمختلف قضايا الإنسان.

وفي هذا السياق وضع الشهيد مطهّري تصنيفاً لأقسام المعرفة القرآنية، وذلك في رؤية تؤكد على شمولية الرسالة القرآنية وخلودها لكل زمان ومكان.[5]

1-2 المعرفة الإسنادية أو الانتسابية:

تُعد المعرفة الإسنادية منهجاً علمياً دقيقاً وأساسياً في دراسة النصوص التراثية بمختلف أنواعها، سواء كانت أدبية أو دينية أو فلسفية. فهذا المنهج لا يقتصر على مجرد جمع المعلومات، بل يتعداه إلى التحقيق العميق في أصول النصوص ونسبتها لمؤلفيها، ودراسة سندها التاريخي، وفحص مدى مصداقية هذه النسبة عبر القرون.

وتظهر أهمية هذا المنهج بوضوح عند دراسة التراث الأدبي العالمي، حيث يُلاحظ أن العديد من النصوص المنسوبة لكبار الأدباء والشعراء - مثل حافظ الشيرازي في شعره الصوفي[6]، أو عمر الخيام في رباعياته[7] - قد تعرضت لعمليات إضافة وحذف وتعديل عبر العصور.

ففي حالة الخيام مثلاً، تشير الدراسات النقدية الحديثة إلى أن ما يزيد عن مائتي رباعية منتشرة بين الناس لا يمكن الجزم بنسبتها إليه، بينما لا يتجاوز عدد الرباعيات الموثوقة عشرين رباعية فقط. وهذا يدل على حجم التحديات التي تواجه الباحثين في مجال التحقيق العلمي للنصوص التراثية.

ولا تقتصر مشكلة الإسناد على الأدب وحده، بل تمتد إلى النصوص الدينية المقدسة، حيث أن كتباً مثل التوراة والإنجيل قد تعرضت لاختلافات كبيرة بين مخطوطاتها ونسخها المختلفة[8]، مما أثار جدلاً واسعاً بين الباحثين حول النص الأصلي. إلا أن القرآن الكريم يمثل حالة فريدة واستثنائية في هذا المجال، حيث يتميز بثبوت إسناده وقطعية تواتره، فهو الكتاب الوحيد الذي وصل للبشر بنفس الصيغة التي نزل بها على النبي محمد ﷺ دون زيادة أو نقصان.

وهذا الحفظ المعجز قد تكفّل به الله تعالى كما وعد [9]في قوله: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[10].

---

[5] مطهّري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص12

[6] الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطبعة إسماعيليان، طهران، إيران، ج8، ص 102

[7] الأميني، عيد الحسين، شعراء الغدير في القرن الحادي عشر، د.ن، د.ت، ج1، ص 43

[8] السند، الشيخ محمد، الرأي الآخر في الوحدة التقريب قواعد فقهية وعقائدية، مؤسسة باقيات، قم المقدسة، إيران، 1429هـ، ج1، ص 106

[9] مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دراسات عقائدية النبوة والإمامة والمعاد في فكر الشهيد مطهّري قدّس سره، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط1، 1441هـ، ص 146

[10] القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية 9

حيث تبين الآية الكريمة أن الذكر الحكيم قد نزل من عند الله وحده، وأنه تكفّل بحمايته وصيانته عبر العصور[11]. وهذا الضمان الإلهي يثبت أصالة النص القرآني ويحفظه من التغيير أو العبث، مما يجعله المنهل الوحيد الموثوق للتعاليم السماوية. فالحفظ الإلهي للقرآن ليس مجرد وعظ، بل عهد إلهي ببقاء هذه الرسالة خالدة كاملة، تضمن للبشرية مصدراً ثابتاً للحقائق الربانية في كل عصر.

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي من خلال منهج متكامل في الحفظ شمل الكتابة والحفظ الصدري، حيث حرص النبي ﷺ على توثيق الوحي فور نزوله عبر كُتّاب الوحي المعروفين، ثم تناقله جيل بعد جيل بالتواتر القطعي.

وهذا ما جعل القرآن في منأى عن أي تحريف أو تبديل[12]، مصداقاً للوعيد الإلهي: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)** [13]. حيث تؤكد هذه الآية الحماية الإلهية المطلقة لصدق الرسول ﷺ, وهذا النص القرآني يرسخ مبدأين أساسيين: أولاً عصمة النبي ﷺ الكاملة في تبليغ الوحي، وثانياً الضمان الإلهي لسلامة الرسالة من أي تدخل بشري. فالآية تقدم برهاناً قاطعاً على أن كل ما جاء به النبي ﷺ هو وحي إلهي خالص، لا مجال فيه للزيغ أو الخطأ[14]، مما يزيل أي ريبة في صحة ما نقل إلينا من دين الله تعالى.

وبالانتقال من الجانب النصي إلى الجانب الوجودي، يتم ملاحظة أن المعرفة الإسنادية تتخذ بعداً أعمق في فلسفة الإنسان عند الشهيد مطهّري، الذي يرى أن كل مظاهر الوجود الإنساني تشير بالضرورة إلى خالقها. [15]

ففي مسألة معرفة الذات، يبين مطهّري أن التأمل في النفس البشرية بكل ما تحويه من عقل وإرادة ومشاعر وأحاسيس، لا يمكن تفسيره بالمادية الصرفة، بل هو دليل واضح على وجود خالق حكيم[16]، كما يشير القرآن الكريم في إحدى آياته المباركة: **(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)** [17]. وهذا ما أكده المفسرون كالطبري، حيث رأى في تعقيد النفس البشرية وآليات عملها آية من آيات الله الكبرى.[18]

فوفقاً لمرتضى مطهّري، تُعتبر هذه الآية دعوة للتفكير في الجسد والعقل كأحد مظاهر الإعجاز الإلهي، حيث أن التناغم والدقة في بناء الإنسان يعكسان قدرة الله اللامحدودة، كما يرى أن التأمل في النفس يعين الإنسان على اكتشاف أبعاد خفية في وجوده تُظهر عظمة الخالق، مما يجعل التأمل في الذات وسيلة للوعي بوجود الله والتقرب منه.

---

(11) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قم القدسة، إيران، 1404هـ، ج8، ص 19

(12) العاملي، جعفر مرتضى الحسين، أهل البيت (ع) في آية التطهير، د.ن، قم المقدسة، إيران، 1412هـ، ج1، ص 113

(13) القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآيات 44–45

(14) السبحاني، الشيخ جعفر، رسائل ومقالات، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، إيران، د.ت، ج1، ص 38

(15) مطهّري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص15

(16) مطهّري، مرتضى، الفطرة، قسم الإعلام الخارجي في مؤسسة البعثة، طهران، إيران، ط1، 1410هـ، ص 202

(17) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية 21

(18) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر ، 1422هـ، ج22، ص419

أما الشيخ الطوسي، فيشير في تفسيره إلى أن معرفة الذات تأتي من التأمل في التغيرات التي يمر بها الإنسان طوال حياته، مثل تحوله من جنين إلى حياة، ومن ضعف إلى قوة. وهذه التغيرات تدل على وجود خالق حكيم يدبر الأمور. فالطوسي يعتقد أن التأمل في هذه التحولات يعزز وعي الإنسان بوجود الله وحكمته في تدبيره لشؤون خلقه.[19]

أما في مجال الغاية الوجودية، فيؤكد مطهّري أن الإنسان لم يخلق عبثاً، بل له غاية سامية هي العبادة والوصول إلى الكمال المعنوي، وهذه الغاية هي التي تمنح الحياة الإنسانية معناها وقيمتها الحقيقية. وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** [20]. فيرى مطهّري أن العبادة ليست محصورة في أداء الطقوس الدينية فقط، بل تشمل كل ما يعزز علاقة الإنسان بالله ويسهم في تهذيب نفسه وتنميتها.[21]

وتعتبر العبادة في هذا السياق وسيلة لتحقيق التوازن مع النظام الكوني الإلهي، وتُعدّ طريقاً لتحقيق الكمال الروحي والإنساني، مما يساعد على ترقية الروح وتنقيتها.

وهذا ما يؤكده العلامة المجلسي في تفسيره للآية المباركة السابقة، حيث يشير إلى أن الغاية من خلق الإنسان والجن هي العبادة. لكنه يعترف بوجود بعض الجن والإنس الذين لا يعبدون، إما بسبب الكفر أو الجنون أو الموت قبل البلوغ، مما يثير التساؤل حول معنى العلة الغائية في خلقهم. وللرد على هذا، يوضح المجلسي أن المقصود بالجن والإنس في الآية هم المكلفون الذين بلغوا مرحلة التكليف. كما يبين أن العلة الغائية لا تشمل جميع الجن والإنس بل تخص المكلفين منهم، وأن الله خلقهم لعبادته وليس للمعصية.[22]

وفي إطار الحرية والمسؤولية، يرفض مطهّري الرؤية المادية التي تجعل الإنسان مجرد آلة تحركها الغرائز والمؤثرات الخارجية، مستنداً في ذلك إلى الآية الكريمة: **(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)**[23]، والتي تثبت أن للإنسان جوهراً روحانياً يمنحه الحرية والإرادة والمسؤولية الأخلاقية.[24]

وحسب تفسير مرتضى مطهّري، فإن هذه النفخة من روح الله تجعل الإنسان أكثر من مجرد كائن مادي، إذ ترفع من مكانته وتمنحه القدرة على التفكير والإرادة الحرة, كما يبين أن الروح التي منحها الله للإنسان تُعد علامة على العلاقة الخاصة بين الخالق والمخلوق، كما تُمكنه من السمو الروحي والتطور.

وكذلك الأمر في تفسير الشيخ الصدوق للآية السابقة, حيث يعكس تفسيره أن الله ﷻ قد خلق الإنسان من جسد وروح، ومنحه الحياة بنفخ الروح فيه، ما يمنحه القدرة على الاختيار. وهذه القدرة على الاختيار تعني أن الإنسان يمتلك حرية الإرادة، وبالتالي يتحمل مسؤولية أفعاله.[25]

---

(19) الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الاعلام الإسلامي، ط1، 1209هـ، ج9، ص 385

(20) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية 56

(21) مطهّري، مرتضى، فلسفة الأخلاق، د.ن، طهران، إيران، 1446هـ ، ص 10

(22) المجلسي، الشيخ العلامة محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، 1403هـ، ج67، ص 119

(23) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية 29

(24) مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دراسات عقائدية النبوة والإمامة والمعاد في فكر الشهيد مطهّري قدّس سره، مرجع سابق، ص 317

كما يظهر البعد الكوني في فلسفة مطهّري من خلال تأكيده أن الكون بكل ما فيه من نظم دقيقة وقوانين محكمة، هو بمثابة كتاب مفتوح يدل على خالقه، كما قال تعالى: **(لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** [26].

حيث يشرح مطهّري الآية المباركة السابقة مبيناً أن الكون بكامل تفاصيله هو دليل على وجود الله وحكمته العظيمة، والتأمل في هذا الخلق يمكن أن يكشف للإنسان عن عظمة الخالق. فالأشخاص الذين يمتلكون قدرة التفكير والتدبر، يستطيعون أن يروا في هذا الخلق إشارات واضحة على النظام المتقن والإبداع الإلهي. كما ويركز مطهّري على دور العقل في فهم هذه الإشارات، حيث يعتبره الأداة الأساسية التي تتيح للإنسان الوصول إلى المعاني العميقة التي تكمن وراء الظواهر الطبيعية.

أما على المستوى الاجتماعي، فيرى أن القيم الأخلاقية كالعدل والإحسان ليست مجرد اصطلاحات بشرية، بل هي في حقيقتها تعبير عن الحكمة الإلهية[27]، كما في قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)** [28]. فالله ﷻ يوجه الناس إلى أن يكونوا عادلين في تعاملاتهم مع الآخرين، مما يعني أن يحترموا الحقوق ويعطوا كل ذي حق حقه، كما يوجههم إلى الإحسان، الذي يتضمن التفوق على الواجب والتعامل مع الآخرين بلطف ورحمة.

كما يبين مطهّري أن العدل يتجسد في الحفاظ على الحقوق والإنصاف، بينما الإحسان يتجلى في تجاوز الحدود الطبيعية للمعاملة الحسنة، مما يعكس علاقة متوازنة بين العدالة والرحمة في حياة الإنسان.

ويؤكد الشيخ الشيرازي في تفسيره أن التعاليم القرآنية تمثل برنامجاً متكاملاً يربط بين الأخلاق والدين، حيث تدعو إلى ثلاث قيم أساسية: العدل، وهو حجر الأساس في استقرار المجتمعات وتنظيم العلاقات، والإحسان، الذي يعبر عن الرحمة وتجاوز حدود الواجب، ورعاية الأقارب، بما يعزز الروابط الاجتماعية. وفي المقابل، تنهى التعاليم نفسها عن الفحشاء والمنكر والبغي، لما فيها من تهديد للقيم الإنسانية والمجتمعية.[29]

وبهذا الطرح، يُظهر الشيرازي كيف يضع الإسلام قواعد واضحة لبناء مجتمع يقوم على الأخلاق والعدالة، ويوازن بين الحقوق والواجبات.

وهكذا يتكامل المنهج الإسنادي في دراسة النصوص مع الرؤية الفلسفية للوجود، فكما أن القرآن الكريم قد حفظه الله بحفظه الخاص وتكفل بحمايته عبر التواتر القطعي، فإن الإنسان في رؤية مطهّري - بكل أبعاده النفسية والعقلية والاجتماعية - لا يمكن فهمه بمعزل عن إسناده إلى الله تعالى.

---

[25] الصدوق، الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي، التوحيد، جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران، د.ت، ج1، ص172

[26] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 164

[27] مطهّري، مرتضى، الإنسان الكامل، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة، بيروت، لبنان، د.ت، ص 274

[28] القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 90

[29] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مرجع سابق، ج8، ص 299

وهذه الرؤية الشمولية تمنح المعرفة الإنسانية عمقاً وجودياً وغاية سامية، وتجعل من النموذج القرآني في الحفظ والإسناد مثالاً يحتذى في الدراسات النصية، كما تجعل من الرؤية الإسلامية للإنسان رؤية متكاملة تربط المخلوق بخالقه في علاقة وجودية عميقة.

2-2 المعرفة التحليلية:

المعرفة التحليلية للقرآن الكريم، كما يراها الشهيد مرتضى مطهّري، تشكل أحد أبرز أقسام معرفة الكتاب الكريم، حيث تتعدى مجرد تفسير ظاهر النصوص القرآنية إلى فهم عميق لمحتوى الكتاب وأهدافه الكامنة. وهذه المعرفة تركز على تحليل فلسفة القرآن ورؤيته للعالم، الإنسان، والمجتمع بشكل شامل، وتسعى للإجابة عن مجموعة من الأسئلة الجوهرية حول معاني القرآن. [30]

فعلى سبيل المثال، كيف ينظر القرآن إلى الإنسان؟ وما هو موقفه من الحياة والموت؟ كيف يطرح القرآن قضايا المجتمع؟ وهل يعكس القرآن فلسفة معينة في تعامله مع العقل والإيمان؟ وهل للقرآن رسالة أخلاقية واجتماعية تُوجه إلى البشرية جمعاء؟

في هذا السياق، يرى مطهّري أن القرآن الكريم ليس مجرد كتاب هداية دينية وحسب، بل هو أيضاً مصدر فلسفي وعلمي يتناول قضايا الإنسان بعمق. إذ يتطرق القرآن إلى أسئلة وجودية حول معنى الحياة، ودور الإنسان في الكون، وكيفية التفاعل مع العالم.

فمثلاً، عندما يتحدث القرآن عن الإنسان كخليفة لله في الأرض[31]، يُظهر الفكرة أن الإنسان ليس مجرد مخلوق عادي، بل يحمل مسؤولية عظيمة تجاه نفسه والمجتمع والكون بأسره. وهذا المفهوم يتجسد في العديد من الآيات، مثل قوله تعالى: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)** [32]، حيث يُبرز القرآن الدور المركزي للإنسان في إصلاح الأرض وعمارتها.

فوفقاً لمطهّري، تدعو هذه الآية المباركة الإنسان إلى فهم دوره كخليفة يتصرف بحرية واختيار، ولكن ضمن إطار من المسؤولية والوعي الكامل, كما يبين أن المعنى التحليلي لهذه الآية يكمن في فهم أن الإنسان ليس مالكاً مطلقاً للأرض، بل هو نائب عن الله عز وجل ويجب أن يتعامل مع الأرض بوعي وحذر.[33]

وهذه الرؤية التحليلية تساعد في إدراك كيفية توازن الإنسان بين استخدام سلطته وحكمته في إدارة الكون.

---

[30] مطهّري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص16

[31] مؤسسة دائرة المعارف فقه إسلامي، فقه أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة دائرة المعارف فقه إسلامي، ط1، 1423هـ، ج41، ص 162

[32] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 30

[33] مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دراسات عقائدية النبوة والإمامة والمعاد في فكر الشهيد مطهّري قدّس سره، مرجع سابق، ص 317

ويذهب العلامة المجلسي في تفسيره إلى أن مفهوم جعل الإنسان خليفة في الأرض يتجلى في تكليفه بمسؤولية تمثيل الحكم الإلهي وإقامة العدل وفقاً للمبادئ السماوية. ويُفسر اعتراض الملائكة في هذا السياق بأنه صادر عن علم مسبق بما قد يترتب على هذا الاستخلاف من فساد، سواءً كان هذا العلم مستمداً من إعلام إلهي مباشر أو من الاطلاع على اللوح المحفوظ، وليس نابعاً من دوافع المعصية أو المخالفة[34] . وبالتالي، فإن مفهوم الخلافة هنا يحمل دلالة واضحة على تحمّل الإنسان مسؤولية إصلاح الأرض ونشر القيم الإلهية، بما يعكس الوفاء بالأمانة التي اؤتمن عليها.

أما عن موقف القرآن الكريم من المجتمع، فيرى مطهّري أن القرآن يقدم رؤية متكاملة لبناء مجتمع عادل ومتوازن يتأسس على العدالة والمساواة. فالقرآن يشدد على أهمية حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية[35]، ويحث على تكافل الأفراد وتعاضدهم لبناء مجتمع يسوده التعاون والرفاه.

وهذه المبادئ تتجسد في آيات عديدة، مثل قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)**[36]، حيث يعزز القرآن مفهوم الأخوة والتعاون بين المؤمنين, كما تبيّن أن الإيمان يشكل أساساً لعلاقة أخوية حقيقية بين المؤمنين، تتجاوز الشكل الظاهري لتصل إلى جوهر العلاقة المبنية على المحبة والتكافل. [37]

ويرى مرتضى مطهّري أن هذه الأخوة ليست مجرد شعور، بل مسؤولية عملية تتجلى في دعم الآخرين والوقوف إلى جانبهم. ويشير إلى أن المعرفة التحليلية هنا تكشف أن الإيمان ليس مسألة فردية فقط، بل يربط بين الأفراد بروابط روحية تجعلهم يتعاملون كأفراد في جسد واحد، مما يعزز وحدة المجتمع ويقوي ترابطه.

أما من وجهة نظر العلامة الطباطبائي, فيؤكد في تفسيره أن الإيمان يخلق رابطة أخوية بين المؤمنين تترتب عليها حقوق وواجبات. ففي حالة وجود نزاع بين المؤمنين، يجب على الجميع السعي لإصلاح العلاقة بينهم لأنهم إخوة، والإصلاح هنا يعد واجباً جماعياً, كما يشدد على أهمية التقوى والرحمة في التعامل مع هذه المواقف.[38]

---

[34] المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مرجع سابق، ج11، ص 126

[35] الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، مدرسه الامام علي بن ابى طالب عليه السلام، نفحات القرآن، قم المقدسة، إيران، 1426هـ، ج9، ص 16

[36] القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 10

[37] الخميني، السيد روح الله علي، صحيفة الإمام، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (رض)، طهران، إيران، 1429هـ،ج11، ص 385

[38] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1980م، ج18، ص315

وعلى صعيد آخر، فإن القرآن لا ينظر إلى العقل باعتباره خصماً للإيمان، بل يعامله كأداة رئيسية لفهم الحقائق الإلهية. حيث يُظهر القرآن قيمة العقل ويحث الإنسان على استخدامه في تفكير عميق حول الكون والحياة.

ومن خلال ذلك، يؤكد مطهّري أن القرآن يعترف بقدرة العقل على استكشاف الحقائق الإلهية والتفاعل معها، ويُشجع على التفكر في آياته كوسيلة للوصول إلى الهداية.[39]

فلى سبيل المثال، في قوله تعالى: **(أَفَلَا تَعْقِلُونَ)** [40]، يدعو القرآن المؤمنين إلى استخدام عقولهم لفهم الرسالة الإلهية بشكل أعمق, حيث توجه الإنسان إلى استخدام عقله في التأمل والتمييز، وتحثه على عدم الاكتفاء بالتقليد دون فهم.

ويرى مطهّري أن هذه الآية الكريمة تُظهر مكانة العقل في الدين، فهو وسيلة لاكتشاف الحقائق والإيمان الواعي. وتكشف المعرفة التحليلية فيها أن العقل ليس مجرد أداة لفهم الأمور الدنيوية، بل هو عنصر جوهري لفهم الإيمان والتعامل مع الحياة بشكل ناضج وواعٍ، مما يجعل التفكير العقلي جزءاً لا يتجزأ من الدين الحقيقي.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن المعرفة التحليلية للقرآن الكريم، وفقاً لرؤية مطهّري، تركز على فهم شامل وعميق للرسالة القرآنية، ليس فقط من خلال تفسير النصوص الظاهرة، بل من خلال استكشاف الفلسفة التي تكمن وراء هذه النصوص.

وهذه المعرفة تتجاوز الظاهر إلى جوهر الرسالة الإلهية، وتُظهر كيف أن القرآن لا يقتصر على كونه كتاباً دينياً، بل هو أيضاً مصدر غني بالمعرفة الفلسفية والعلمية التي تطرح حلولاً جذرية لمشاكل الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية.

3-2 المعرفة الجذرية:

تعد المعرفة الجذرية مرحلة متقدمة في فهم النصوص الدينية، حيث تتجاوز التحليل الظاهري إلى البحث في جذور الأفكار وأصالتها، ومدى استقلاليتها عن المؤثرات الخارجية.

وفي سياق القرآن الكريم، يرى الشهيد مرتضى مطهّري أن هذه المعرفة تمثل ركيزة أساسية لإثبات أن القرآن وحي إلهي وليس مجرد انعكاس للثقافات السابقة أو المعاصرة لنزوله. [41]

فبعد إثبات صحة نسب القرآن الكريم إلى الله تعالى عبر الأدلة الإسنادية والتاريخية، وتحليل مضامينه تحليلاً دقيقاً، تأتي المعرفة الجذرية لتكشف عن مدى أصالة الأفكار القرآنية، وهل هي مستمدة من مصادر بشرية كالكتب الدينية القديمة أو التراث الجاهلي، أم أنها تنبع من مصدر إلهي متعالٍ.

---

[39] المدرسي، السيد محمد تقي، بحوث في القرآن الحكيم، دار محبي الحسين عليه السلام، طهران، إيران، 1424هـ، ج1، ص 88

[40] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 44

[41] مطهّري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص18

ويضرب مطهّري مثلاً بديوان حافظ الشيرازي، حيث لا يكفي أن تكون الصياغة الأدبية رائعة (أي الأصالة الفنية)، بل يجب التحقق من أن الأفكار نفسها إبداعية وغير مقتبسة (الأصالة الفكرية) .

وفي حالة القرآن الكريم، تؤكد المعرفة الجذرية أنه ليس مجرد صياغة جديدة لأفكار موجودة في التوراة أو الإنجيل أو الثقافات المحيطة، بل هو نص فريد في مضمونه ومصدره.

ويستدل مطهّري على ذلك بآيات قرآنية صريحة، مثل قوله تعالى: **(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)** [42] ، حيث يرى مطهّري أن الآية الكريمة تؤكد أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن على اتصال بأي مصدر معرفي مكتوب قبل نزول الوحي، لا قراءة ولا كتابة، وهذا بحد ذاته دليل قاطع على أن القرآن ليس نتاج تجربة بشرية أو تأليف شخصي، بل هو وحي منزل من عند الله سبحانه وتعالى.[43]

كما وتشير الآية الكريمة: **(قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ)** [44] إلى أن القرآن ليس نتاجاً ثقافياً تدريجياً، حيث يوضح مطهّري أن القرآن ليس مجرد نص يُتلى، بل هو ثمرة مشيئة إلهية وتجسد لحضور الغيب في عالم الإنسان. فلو لم يشأ الله سبحانه، لما نُقل هذا الوحي، ولا بلغ الناس معناه.

وهذا يؤكد، في نظر مطهّري، أن المعرفة النبوية لا تقوم على الاجتهاد العقلي أو التجربة الذاتية، بل تنبع من أصل إلهي متجذر. فالمعرفة الحقّة تتجاوز الوسائط الحسية والعقلية، وتتصل بالباطن الإلهي. وهذه الرؤية تعكس طبيعة المعرفة الجذرية التي تنبع من عمق الوجود الإلهي لا من ظواهره السطحية.

ويرى الفيض الكاشاني أن المعرفة النبوية ليست ناتجة عن اجتهاد عقلي أو تعليم بشري، بل هي وحي إلهي خالص، إذ يشير إلى أن تلاوة النبي ﷺ للقرآن وإبلاغه للناس لا تتحقق إلا بإرادة الله عز وجل، ويستدل على ذلك بكون الرسول ﷺ على الرغم من أنه لم يتعلم، ومع ذلك جاء بكتاب يفوق كل كلام في فصاحته ويحتوي على علم الغيب، مما يدل على أن علمه ومعرفته مصدرهما إلهي خارق للعادة، لا يُفسَّر بالعقل أو التجربة.[45]

ومن هذا المنطلق، يبرز مطهّري مفهوم المعرفة الجذرية، حيث يوضح أن المعرفة القرآنية لم تتشكل عبر مراحل التعلم المعتادة، بل تفجرت مباشرة من مصدر الحقيقة الإلهية، مانحة للقرآن طابعاً من السمو والتميّز يفوق أي معرفة مكتسبة عبر الجهد البشري أو التراكم الثقافي.

ويؤكد مطهّري أن القرآن لا يكتفي بالاستقلالية الفكرية، بل يصحح ما سبقه من الكتب، كما في قوله تعالى: **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)** [46]، فهذه الآية تشير إلى أن القرآن الكريم نزل

---

[42] القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 48

[43] مطهّري، مرتضى، في رحاب نهج البلاغة، ترجمة: هادي اليوسفي، الدار الإسلامية للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1413هـ، ص 67

[44] القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 16

[45] الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الأصفى، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم المقدسة، إيران، 1418هـ، ج1، ج 506

[46] القرآن الكريم، سورة الإخلاص، الآيات 1-2

على الرسول ﷺ محمولاً بالحق، أي أن نزوله كان له غاية واضحة ومعنى عميق، يتمثل في هداية البشر وكشف الحقيقة. كما أن وصفه بـ (مصدّقاً لما بين يديه) يدل على أن القرآن لم يأتِ ليعارض الكتب السماوية السابقة، بل جاء ليؤكد أصولها المشتركة في التوحيد والنبوة، ويعيد تصحيح ما طالها من تحريف أو نسيان، فكان بذلك متمماً لمسيرة الوحي وخاتماً لها، ما يعكس وحدة الرسالات الإلهية في جوهرها، مع اختلافها في بعض التفاصيل تبعاً لاحتياجات المجتمعات والحقب الزمنية المختلفة. [47]

ومن الناحية الفلسفية، تكشف المعرفة الجذرية عن عمق الرؤية القرآنية في مجالات العقيدة كالتوحيد الخالص في سورة الإخلاص, ففي قوله تعالى: **(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ* ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ)**[48], يعرض القرآن الكريم التوحيد في أسمى معانيه[49]، حيث يُؤكد على أن الله واحد لا شريك له في ذاته أو صفاته.

وهذه الرؤية تتجاوز المفاهيم السطحية للإلهية، وتغوص في تنزيه الله عن كل شكل من أشكال التجسيد أو التركيب، مشددة على أن الله هو الأصل الوحيد لكل ما في الوجود، مما يعكس جوهر التوحيد الذي لا يقبل التشبيه أو التقسيم.

وهكذا، فإن هذه المعرفة ليست مجرد مقارنة تاريخية، بل هي كشف عن رؤية كونية شاملة، تثبت أن القرآن فوق الزمان والمكان[50]، ومصدره إلهي لا بشري.

3- شروط معرفة القرآن الكريم:

إنّ القرآن الكريم ليس كتاباً عادياً يُقرأ من دون تدبر أو تأمل، بل هو كلام الله الخالد، الذي يحمل بين سطوره الهداية الشاملة للإنسان في كل زمان ومكان.

ولذلك، فإن الوصول إلى معانيه الحقيقية ومقاصده العميقة لا يكون إلا عبر الالتزام بشروط معرفية منهجية تُمكّن القارئ والمفسّر من التعامل مع النص الإلهي على ضوء أبعاده اللغوية، والتاريخية، والتشريعية، والعقائدية.

وفي هذا الإطار، يبيّن مرتضى مطهّري أن فهم القرآن لا يتحقق إلا بتكامل مجموعة من المعارف الأساسية التي تحصّن من التفسير السطحي وتفتح أبواب التدبر الواعي والوافي.

فمن أجل الوصول إلى الفهم العميق والدقيق للقرآن الكريم، يؤكد مطهّري على أهمية التزام منهجية معرفية متكاملة، ولعلّ أبرز شروط معرفة القرآن الكريم كما وضّحها مطهّري[51]:

3-1 إتقان اللغة العربية:

---

[47] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مرجع سابق، ج1، ص 10

[48] القرآن الكريم، سورة الإخلاص، الآيات 1–2

[49] مطهّري، مرتضى، النبوّة، ترجمة: جواد علي كسّار، دار الهدى ، طهران ، إيران، ط 4 ،2007م.، ج1، ص 380

[50] الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، نفحات الولاية، مدرسة الامام علي بن ابى طالب عليه السلام، قم المقدسة، إيران، 1426هـ، ج1، ص 403

[51] مطهّري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص21

تعد اللغة العربية جسراً أساسياً لفك رموز القرآن الكريم واستيعاب مضامينه بدقة وعمق. وفي هذا الصدد، أبرز الشهيد مرتضى مطهّري المكانة المحورية لإتقان العربية كشرط جوهري لاكتناه المعاني الحقيقية للوحي الإلهي. فاللغة العربية ليست مجرد أداة تواصل عادية، بل هي – بحسب تعبيره – بوصلة ترشد القارئ إلى أعماق النص القرآني.

والتمكن من العربية لا يقف عند حدود حفظ المفردات أو إتقان القواعد، بل يمتد ليشمل إدراك الأساليب البلاغية والدلالات المجازية والتركيبات اللغوية التي تخفي في ثناياها معاني قد تفلت من غير المتخصصين. ويجد هذا الأمر سنداً في قوله تعالى: **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** [52], حيث تؤكد الآية المباركة أن العربية هي الوعاء الذي صبّ فيه الخطاب الإلهي، وبالتالي فهي الوسيلة الأمثل لفهمه.[53]

ويحتل البعد البلاغي موقعاً مركزياً في رؤية مطهّري، إذ يرى أن البلاغة القرآنية ليست زينة لفظية، بل نظاماً دقيقاً يربط بين الظاهر والخفي من المعاني.

فمثلاً قوله تعالى: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)** [54]، حيث يتجلى فن المجاز ببراعة، محوّلاً السؤال من المكان إلى سكانه، في لفتة لا يدركها إلا من يمتلك ناصية اللغة بكل أبعادها.[55]

ويذهب مطهّري إلى أبعد من ذلك، معتبراً القرآن تحفة أدبية فريدة، مما يجعل إتقان العربية شرطاً للتفاعل الخلاق معه. وهذا التفاعل الذي يتجاوز القراءة المباشرة إلى الغوص في طبقات التفسير، واستنباط الحِكَم، وتتبع خيوط الترابط بين الآيات في إطارها البلاغي الشامل.

كما يلفت مطهّري الانتباه إلى أن فهم القرآن لا يقتصر على المعنى الحرفي، بل يتطلب إحساساً باللغة، وإدراكاً لأدوات البلاغة من استعارة وكناية وتكرار، التي تشكل مفاتيح لفهم أعمق. فالكلمة القرآنية ليست وحدة منعزلة، بل حلقة في سلسلة لغوية محكمة، تعكس إعجازاً بيانياً لا يكتشفه إلا أهل الاختصاص.

وهكذا تتبوأ العربية مكانةً فريدة في الدراسات القرآنية، فهي البوابة التي تمكن الدارس من سبر أغوار النص المقدس، وتكشف له عن طبقات من الدلالات التي تبقى مغلقة أمام غير المتمكنين، مما يثري عملية الفهم والتأويل، ويؤدي إلى تفسير أكثر دقة لرسالة القرآن الخالدة.

---

[52] القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 2

[53] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج11، ص 75

[54] القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 82

[55] العلامة الحلي، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، قم المقدسة، إيران، 1404هـ، ج1، ص 81

2-3 الإلمام بالسياق التاريخي لنزول الآيات:

إن الإلمام بالسياق التاريخي لنزول الآيات يُعدّ من الشروط الأساسية لفهم القرآن الكريم كما بيّنه مرتضى مطهّري، إذ لا يمكن إدراك معاني الآيات ومقاصدها على وجهها الصحيح دون الرجوع إلى تاريخ الإسلام الذي نزل فيه القرآن.

فالقرآن الكريم جاء متدرجاً على مدى ثلاث وعشرين سنة من حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، متفاعلاً مع الوقائع والأحداث المتغيّرة التي مرت بها الأمة الإسلامية منذ البعثة وحتى الوفاة.

وهذا التفاعل المباشر مع الحياة اليومية والواقع السياسي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي الوليد جعل من كل آية تنزل استجابة لحدث معيّن أو معالجة لقضية معينة، وهذا ما يُعرف بأسباب النزول، وهي ليست مجرد حواشٍ تفسيرية بل مفاتيح ضرورية لفهم النص القرآني في عمقه وسياقه.

فأسباب النزول لا تختزل المعنى ولا تقيده بزمن معين، لكنها تضيء خلفيات النص وتكشف عن الأهداف التشريعية التي أرادها الله تعالى من خلال توجيه الخطاب الإلهي في تلك اللحظة الزمنية الخاصة.

فعلى سبيل المثال، معرفة أن قوله تعالى: **(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)** [56] نزل في لحظة كان فيها المسلمون يواجهون تهديداً حقيقياً من قوى قريش وغيرها, يوضّح أن هذه الآية جاءت لتؤسس مبدأ الدفاع المشروع[57]، لا لإطلاق يد القتال بلا ضوابط، وهو فهم يختلف تماماً عن قراءة الآية بمعزل عن سياقها التاريخي.

وكذلك الحال مع كثير من الآيات المتعلقة بالمعاهدات، كآيات صلح الحديبية، أو الآيات التي نزلت في أعقاب غزوة بدر أو أحد، فإن الإحاطة بتلك الوقائع لا تُعين فقط على الفهم الصحيح للنص، بل تمنع كذلك من إسقاط المعاني على غير مواضعها، أو توظيف النصوص بعيداً عن مقاصدها الأصلية.

ولهذا، يرى مطهّري أن فهم الحوادث التي نزلت فيها الآيات، بما تحمله من خلفيات سياسية واجتماعية، يساعد المفسر على إدراك مقاصد الشريعة العليا، ويُجنّب التفسير الجاف أو المتعسّف الذي قد يُشوّه مضمون الرسالة الإلهية.

فالنص القرآني لا يُقرأ في فراغ، بل هو خطاب حي نزل في قلب حركة إنسانية كبرى، ولا يُفهم إلا باستحضار تلك الحركة بكل ما فيها من صراع ونمو وتحول.

3-3 الإلمام بكلمات الرسول ﷺ:

---

[56] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 216

[57] المدرسي، السيد محمد تقي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، انتشارات المدرسي، طهران، إيران، 1413هـ، ج9، ص 473

يرى مرتضى مطهّري أن فهم القرآن الكريم فهماً عميقاً يتطلب بالضرورة الاطلاع على كلمات النبي ﷺ، حيث يتحول هذا الشرط إلى مدخل فلسفي يتعدى التفسير الحرفي للنصوص ليغوص في أعماق الرؤية القرآنية للإنسان والكون ومقاصد التشريع. [58]

ويستند هذا المنظور إلى آيات قرآنية صريحة تؤكد دور الرسول الأعظم ﷺ كمبيّن وشارح للوحي، كقوله تعالى: **(لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)**[59]، الذي يعني أن الله أرسل النبي ﷺ ليوضح للناس ما أنزل إليهم في القرآن الكريم من أحكام وتشريعات وحقائق، وليشرح لهم كيفية تطبيقها في حياتهم. فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس فقط بلّاغاً للوحي، بل هو مبيّن ومفسر له بالأقوال والأفعال. [60]

وكذلك في قوله تعالى: **(يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)**[61]، الذي يشير إلى أن مهمة النبي ﷺ لم تقتصر على نقل الرسالة، بل شملت تفسيرها وتجسيدها عملياً في الواقع. [62]

كما ويؤكد مطهّري أن هذه الرؤية تتسع في المذهب الشيعي لتمتد إلى الأئمة عليهم السلام، باعتبارهم ورثة علم النبوة وحملة رسالة البيان، حيث تُعد رواياتهم امتداداً عضوياً للسنة النبوية في تفسير القرآن وتوضيح مقاصده. وبذلك يصبح الرجوع إلى أقوالهم ضرورة منهجية تكمل عملية الفهم القرآني، وتضيف بُعداً غنياً لاستيعاب الرسالة الإلهية.

وعليه، فإن الفصل بين القرآن والسنة النبوية والروايات الإمامية يؤدي إلى فهم مجتزأ للرسالة القرآنية، لأنه يقطع الصلة بين النص وسياقه التطبيقي الحي.

فالفلسفة القرآنية في نظر مطهّري لا تُدرك إلا من خلال هذه الشبكة المتكاملة من النصوص والتفاسير، التي تكشف عن الرؤية الوجودية الشاملة للإسلام، وتوفر للإنسان الأدوات الفكرية والسلوكية لفهم دوره في هذا الكون.

---

[58] مطهّري، مرتضى، التعرف إلى القرآن الكريم، منظمة الإعلام الإسلامي، إيران، 1987م، ص 21

[59] القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 44

[60] السبحاني، الشيخ جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة، إيران، 1408هـ، ج6، ص 24

[61] القرآن الكريم، سورة الجمعة، الآية 2

[62] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مرجع سابق، ج18، ص 292

المبحث الثاني

الأسس المعرفية التي ينطلق منها الشهيد مطهّري في فهم القرآن

تُعدّ مسألة المعرفة ومصادرها من المحاور الأساسية في الفكر الإسلامي، لا سيما في المجالات المرتبطة بتفسير القرآن الكريم وفهم معانيه العميقة.

وفي هذا الإطار، برز الشهيد مرتضى مطهّري بوصفه أحد المفكرين الشيعة البارزين الذين سعوا إلى تقديم قراءة عقلانية ومعاصرة للنص القرآني، تنبع من رؤية معرفية شاملة.

فقد قدّم مطهّري مشروعاً فكرياً يهدف إلى إعادة صياغة العلاقة بين الإنسان والوحي، من خلال منهج يستند إلى الفلسفة الإسلامية، ويتكئ على تراث علم الكلام الشيعي، لكنه ينفتح في الوقت نفسه على أسئلة العصر واهتماماته.

ولم يكن مطهّري مفسراً تقليدياً يكرر الأنماط السائدة، بل كان يسعى إلى بلورة منظور تفسيري يرتكز على الأسس المعرفية التي تعزز من حضور العقل الإنساني إلى جانب النص. وقد نظر إلى القرآن باعتباره خطاباً حياً ومرناً، يوجّه العقل البشري ويستنهض قدراته الفطرية، دون أن يعزل نفسه عن مسار التقدّم العلمي والتطور الإنساني.

فالقرآن، كما يفهمه مطهّري، ليس كتاباً في العقائد أو التشريعات فحسب، بل هو مشروع هداية معرفي يتفاعل مع أدوات الإنسان الطبيعية، مثل التفكير والتجربة والتأمل، للوصول إلى حقائق الإيمان والتوحيد.

1- العقل والوحي كركيزتين للمعرفة:

يشكّل الفكر التفسيري للشهيد مرتضى مطهّري نموذجاً بارزاً في الرؤية الشيعية المعاصرة التي تسعى إلى المواءمة بين العقل والوحي، بوصفهما مصدرين متكاملين للمعرفة الدينية. فمطهّري لا يفصل بين العقل كأداة لفهم الواقع والشرع، وبين الوحي كمرجعية مطلقة للحقائق الدينية، بل يرى أن العقل في حقيقته النقية هو هبة إلهية تقود إلى الوحي وتعين على فهمه.

ومن هذا المنطلق، يتبنى مطهّري أساساً معرفياً يقوم على تفعيل طاقات الإنسان الإدراكية في التعامل مع النص القرآني، ويضع العقل في موقع الفهم، لا المعارضة، وفي دور التأمل، لا الاستغناء.

وتتجلى هذه الرؤية في تفسيره للآية الكريمة: **(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها)** [63]، حيث يبيّن مطهّري أن التدبّر هو ممارسة عقلية وروحية، وأن تعطيله لا ينتج من قصور النص بل من انغلاق القلب وغفلة العقل. وهو يؤكد أن القرآن لا يدعو إلى الاتّباع الأعمى، بل إلى التفكر العميق في مضامينه، واعتبار العقل أداة لفهم الهداية. [64]

---

[63] القرآن الكريم، سورة محمد، الآية 24

[64] مطهّري، التعرف على القرآن الكريم، ص 33

ويرى السيد محمد تقي المدرسي أن التدبر في القرآن يعني التأمل العميق في معانيه وربطها بالواقع والحياة العملية، وليس مجرد القراءة أو الحفظ. ويؤكد أن الغاية من التدبر هي إحداث أثر في النفس والسلوك، مما يؤدي إلى وعي أكبر برسالة القرآن. كما يبيّن أن عدم التدبر ناتج عن وجود حواجز داخلية في القلب، كالغفلة والذنوب والجمود الفكري، وهي ما يحول دون التأثر الحقيقي بكلام الله. [65]

ويتوافق هذا الطرح مع تفسير العلامة محمد حسين الطباطبائي، إذ يرى أن الآية تحث على التدبّر العقلي الذي ينفذ إلى أعماق المعاني، وأن أقفال القلوب هي صورة رمزية لتعطيل الوظيفة العقلية والفطرية لدى الإنسان، مما يمنعه من التفاعل مع الوحي.[66]

ويُعزّز هذا التوجه ما ورد في قوله تعالى: **(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)** [67]. يرى مطهّري أن هذه الآية ترسي دعائم أخلاقيات المعرفة، وتُؤكد أن تحصيل المعرفة لا يكون مقبولاً إلا إذا تأسس على الدليل والحس والعقل، لا على الظن أو التقليد[68]. فالقرآن في هذه الآية يُحمّل الإنسان مسؤولية استخدام أدواته الإدراكية من سمع وبصر وقلب، في اكتساب معرفة مسؤولة وواعية. ويضيف أن الفؤاد هنا لا يعبّر عن المشاعر السطحية بل عن بُعد عميق من الإدراك الداخلي.

وفي تفسير الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، تُفهم الآية على أنها منع شديد من قبول المعلومات دون تحقق عقلي أو حسي، ويُبيّن أن الآية تعبّر عن المنهج القرآني الرافض للاتباع الأعمى، والداعي إلى البحث والتدقيق.[69]

أما في قوله تعالى: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)** [70]، فيرى مطهّري أنها تمثل دعوة قرآنية صريحة للعقل المفكّر، وليست مجرد توصيف كوني. فهو يعتبر أن معرفة الله لا تُستقى فقط من النصوص، بل كذلك من التأمل العقلي في مظاهر الخلق، وأن أولي الألباب هم أولئك الذين استجابوا للفطرة بتحريك عقولهم لاكتشاف السنن الإلهية في الطبيعة. ويؤكّد أن القرآن يؤسس هنا لرؤية كونية معرفية، حيث يصبح الكون كتاباً مفتوحاً للإنسان العاقل. [71]

---

[65] المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، مرجع سابق، ج1، ص 132

[66] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج 18، ص 241

[67] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 36

[68] مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دراسات عقائدية النبوة والإمامة والمعاد في فكر الشهيد مطهّري قدّس سره، مرجع سابق، ص122

[69] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مرجع سابق، ج8، ص 475

[70] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 190

[71] مطهّري، مرتضى، التعليم والتربية في الإسلام، ترجمة: أحمد القبانجي، قلم مكنون، ط1، 1385هـ، ص 380

ويؤيد السيد عبد الأعلى السبزواري هذا الفهم في تفسيره، مشيراً إلى أن الآية المباركة السابقة تبني صرح التوحيد العلمي، الذي يجعل من التأمل العقلي في الكون طريقاً للوصول إلى اليقين، وأن الآيات الكونية تُخاطب أهل العقل، لا مجرد الحواس.[72]

ويكتمل البناء المعرفي القرآني في فكر مطهّري من خلال الآية الكريمة: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** [73]، والتي يراها تعبيراً عن التفاضل المعرفي بين البشر. فالمعرفة، في نظره، ليست رفاهاً ذهنياً بل مسؤولية تكوينية وروحية، والقرآن هنا يُقرّ بأن قيمة الإنسان تقوم على وعيه ومعرفته، لا على موقعه الاجتماعي أو العِرقي. ويُبين أن أولو الألباب هم أولئك الذين دمجوا بين العقل والإيمان، وبين الفهم والسلوك. [74]

ويُعزّز الفيض الكاشاني هذا الفهم في تفسيره، إذ يشير إلى أن هذه الآية تحث على الجمع بين العلم والعمل، وأن أهل العقل هم من يُفعّلون عقولهم للوصول إلى لبّ المعاني [75]، فيتذكرون الحقائق الكبرى، ويتّعظون بها في حياتهم.

من خلال هذه المقاربة، يُمكن القول إن الشهيد مطهّري يمثّل تياراً معرفياً في الفكر الشيعي يربط بين العقل والوحي بوصفهما جناحين لتحليق الإنسان نحو الحقيقة. فالعقل لديه ليس بديلاً عن الوحي، بل طريق لفهمه، والوحي ليس نافياً للعقل، بل مكمّل له ومرشِد.

ومن هذا المنطلق، تظهر في فكره رؤية تكاملية تتجاوز التقابل التقليدي بين العقل والنقل، وتفتح المجال أمام الإنسان لاستخدام قواه الإدراكية، التي جُبل عليها، في خدمة غايته الوجودية: معرفة الله، وفهم رسالته، وتحقيق إنسانيته.

2- القرآن بوصفه مصدراً للهداية الشاملة:

يشكّل القرآن الكريم في فكر الشهيد مرتضى مطهّري إطاراً مرجعياً للهداية الشاملة التي تستوعب مختلف أبعاد حياة الإنسان، لا مجرد كتاب لتقديم المعلومات الجزئية أو الإجابات المحدودة.

فمطهّري ينطلق من فهم معرفي يرى أن وظيفة القرآن لا تقتصر على نقل المعارف الدينية أو الأخبار الماضية، بل تتمثل في إعادة تشكيل وعي الإنسان وتوجيهه نحو الغاية العليا لوجوده، عبر منظومة من الهداية الفكرية والروحية والأخلاقية.

---

[72] الموسوي السبزواري، السيد عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، إيران، د.ت، ج7، ص 203

[73] القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية 9

[74] مطهّري، الفطرة، مرجع سابق، ص 42

[75] الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الصافي، مؤسسة الهادي للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ط2، 1416هـ، ج4، ص 316

وبهذا المعنى، تصبح علاقة الإنسان بالقرآن علاقة مصيرية، تتعلق بالتحول الجوهري في الإدراك، لا بمجرد الاطلاع على مضامين معرفية متناثرة.

تظهر هذه الرؤية بجلاء في تفسيره لقوله تعالى: **(إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)**[76] فالآية، في نظر مطهّري، لا تتحدث عن الهداية في معناها المعلوماتي، بل تشير إلى مسار شامل يُعيد تنظيم حياة الإنسان وفق منظومة الأقوم؛ أي الأعدل، والأصلح، والأكثر انسجاماً مع الفطرة والواقع والغاية. ويرى أن الهداية القرآنية تتجاوز الظواهر، لتطال أعماق النفس والعقل، وتعيد تشكيل نمط التفكير والمعايير الأخلاقية.

وهذا التوجه يوافق ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي، حيث يشرح أن (التي هي أقوم) لا تُفهم فقط على صعيد العقيدة، بل تشمل شمولية المنهج القرآني في تنظيم حياة الإنسان بما يؤدي إلى التوازن على صعيد الفرد والمجتمع، وإقامة العدل على جميع المستويات.[77]

ويتكرس هذا الفهم الكلي للقرآن أيضاً في قوله تعالى: **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)**[78]. حيث يفسّر مطهّري الشفاء هنا بأنه شفاء وجودي من أمراض الجهل والتيه والضلال، لا شفاءً جسدياً أو وظيفياً. فالقرآن – كما يرى – يُخاطب كيان الإنسان بأكمله، ويعالج الانفصال بين فكره وسلوكه، بين معرفته ووجوده. ويُظهر أن القرآن لا يعطي وصفات جاهزة، بل يدفع الإنسان ليعيد ترتيب رؤيته للعالم على أساس التوحيد. [79]

ويُعزّز الفيض الكاشاني هذا المعنى موضحاً أن الشفاء لا يُدرك بالحواس، بل هو شفاء من الغفلة التي تحجب القلب عن نور الهداية، وأن الرحمة تكون لمن استعدّ قلبه لتلقّي النور الإلهي. [80]

ويؤكد مطهّري هذه الوظيفة الوجودية للقرآن من خلال استحضاره لقوله تعالى: **(ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)** [81], فالقرآن، في منظوره، ليس خطاباً عاماً بلا تمييز، بل هو هدى فعّال لأولئك الذين يملكون قابلية روحية ومعرفية تؤهلهم للاستفادة منه، وهم المتقون[82]. فالهداية هنا ليست عرضاً خارجياً بل تفاعل داخلي، يجعل القرآن عاملاً لتغيير جذري في بنية الإدراك الإنساني.

---

[76] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 9

[77] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج13، ص 71

[78] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 82

[79] مطهّري، في رحاب نهج البلاغة، مرجع سابق، ص 184

[80] الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، مرجع سابق، ج3، ص 213

[81] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 2

[82] مطهّري، التعرف على القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 55

ويرى الشيرازي أن (هدى للمتقين) تعني أن الهداية القرآنية تنتقل من كونها تعليماً نظرياً إلى كونها وعياً تحويلياً، شرط أن يكون المتلقي في حالة من الصفاء العقلي والنفسي تؤهله للانتقال من المعلومة إلى البصيرة.[83]

في ضوء هذه النصوص والتأويلات، يتبيّن أن الشهيد مطهّري يتعامل مع القرآن كنظام هداية شامل، يستهدف الإنسان من حيث هو كائن معرفي وأخلاقي وروحي. فلا ينظر إليه كمخزن للمعلومات، بل كمرجع كلي لتشكيل الرؤية الكونية للإنسان. فالمعرفة في القرآن – كما يُحللها – ليست تراكماً ذهنياً، بل انكشافاً للحقيقة، ورجوعاً إلى الفطرة، وانخراطاً في مسيرة التكامل نحو الله. وهذا الفهم يعكس عمق التوجه الشيعي الأصيل الذي يربط بين الهداية والوجود، ويجعل من العقل والوحي طريقين متكاملين إلى الحقيقة، لا متضادين أو متوازيين.

3- تكامل القرآن مع العقل الفطري والعلوم التجريبية في بناء المعرفة:

ينطلق الشهيد مرتضى مطهّري في منهجه التفسيري والمعرفي من قناعة راسخة بأن القرآن الكريم لا يُعارض العقل، ولا ينعزل عن مسار التقدم العلمي، بل يُمثّل مرجعاً أعلى ينسجم مع مقتضيات العقل الفطري، ويوجّه العلوم التجريبية نحو غاياتها الوجودية.

فالقرآن، بحسب مطهّري، ليس كتاباً فيزيائياً أو بيولوجياً، لكنه أيضاً لا يتناقض مع الحقائق العلمية، بل يوظف الظواهر الكونية كبراهين على النظام الإلهي ويحفّز الإنسان على التفكر والتأمل في أسرار الوجود. ومن هنا، يقدّم مطهّري نموذجاً معرفياً يتجاوز ثنائية العقل مقابل الوحي أو الدين مقابل العلم، ليرى أن هذه الميادين تتكامل ضمن مشروع إلهي واحد: كشف الحقيقة، وبناء الإنسان العارف والهادف.

وتتجلى هذه الرؤية في استشهاده بالآية الكريمة: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)** [84]. حيث يفسّر مطهّري هذه الآية بوصفها دعوة مفتوحة للبحث العقلي والملاحظة العلمية في العالم الخارجي (الآفاق) وفي الداخل الإنساني (الأنفس)، لتقود في النهاية إلى إدراك أن الوحي والوجود يصدران عن مصدر واحد. [85]

وهو ما يؤكده العلامة الطباطبائي، حيث يرى أن هذه الآية تشير إلى تطابق الحقائق الكونية والقرآنية، وأن العقل الإنساني إذا سلك طريق التأمل الصادق في نظام الكون، فسينتهي إلى الاعتراف بحقيقة الوحي وصدق الرسالة.[86]

---

[83] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مرجع سابق، ج17، ص 165

[84] القرآن الكريم، سورة فصّلت، الآية 53

[85] مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دراسات عقائدية النبوة والإمامة والمعاد في فكر الشهيد مطهّري قدّس سره، مرجع سابق، ص 134

[86] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج17، ص 404

كما تُبرز آية أخرى هذا الترابط، وهي قوله تعالى: **(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)**[87]، والتي تُفهم، في فكر مطهّري، على أنها تحفيز قرآني مباشر لممارسة النظر العقلي والتحقيق العلمي. فالملاحظة والتجريب ليست ممنوعة، بل مطلوبة، لكن بشرط أن تقود إلى تعميق الوعي، لا إلى الاكتفاء بالظواهر.

ويذهب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إلى أن هذا (النظر) ليس مجرد تأمل سطحي، بل هو دعوة إلى استخدام أدوات الحس والعقل معاً لاستكشاف النظام المحكم في الخلق، الذي يدل على وجود صانع حكيم.[88]

وتبلغ هذه الرؤية ذروتها في تأمل مطهّري لقوله تعالى: **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)** [89]. فالعلم، في تصوره، ليس مجرد تراكم معلومات، بل هو وسيلة للترقي الوجودي والأخلاقي. والقرآن لا يقدّم العلم كقيمة مطلقة، بل حين يقترن بالإيمان، ويُوظف لخدمة الإنسان وتكميله.

ويشير السيد عبد الأعلى السبزواري إلى أن هذه (الدرجات) ليست فقط منازل معرفية، بل مقامات قرب من الله، تتحقق بالعقل المعزز بالوحي، والعلم المؤطَّر بالتقوى.[90]

وبناءً عليه، يمكن القول إن الشهيد مطهّري أسّس لرؤية معرفية متكاملة، لا تقف عند حدود النقل أو التجريب، بل تتجاوزهما إلى مشروع هداية عقلانية.

فالعقل الفطري، والعلم التجريبي، والقرآن الكريم ليست أدوات متعارضة في بناء المعرفة، بل قنوات متكاملة تكشف عن الحقيقة الواحدة من زوايا متعددة. وهذه الرؤية تُجسد أحد أعمدة الفكر الشيعي، الذي يربط بين العقل والدين في سبيل بناء إنسان متكامل، يؤمن بالحق، ويفكر فيه، ويشهده في عالم الخلق.

4- القرآن لا يقدم معرفة نظرية فقط، بل يربي الإنسان:

يتميّز الشهيد مرتضى مطهّري برؤية قرآنية تتجاوز الفهم المعرفي النظري إلى مقاربة تربوية شاملة، إذ يؤمن بأن المعرفة في القرآن لا تقتصر على الإخبار أو البيان العقلي، بل تُسهم في تشكيل الكيان الإنساني وتزكية النفس، بما يجعل القرآن كتاباً للتربية قبل أن يكون كتاباً للفكر المجرد.

فالقرآن في نظر مطهّري يُخاطب الإنسان بوصفه كائناً قابلاً للنمو الروحي والعقلي، ويقدّم له منهجاً يدمج بين التعليم والتزكية.

ويبرز هذا المعنى في قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ)** [91]، حيث يُفهم من ترتيب الأفعال أن التزكية والتعليم متلازمان، وأن بناء الإنسان لا يتم بالعلم وحده، بل بالجمع بين المعرفة والتنقية الداخلية. [92]

---

[87] القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 101

[88] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مرجع سابق، ج6، ص 445

[89] القرآن الكريم، سورة المجادلة، الآية 11

[90] السبزواري، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج7، ص 39

ويتقاطع هذا الفهم مع ما يطرحه السيد محمد حسين الطباطبائي، إذ يرى أن هدف الرسالة الإلهية لا ينحصر في إيصال المفاهيم، بل في تحقيق التغيير النفسي العميق الذي يؤهّل الإنسان لحياة معنوية سليمة.[93]

وفي موضع آخر، يركّز مطهّري على البُعد الذاتي في بناء الإنسان كما في قوله تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**[94]، ويعتبر أن هذه الآية ترسم الإطار العام للمشروع التربوي في القرآن، حيث يُربط الفلاح الحقيقي بتزكية النفس، لا بمجرد امتلاك المعرفة[95]. ويذهب إلى أن العقل القرآني ليس عقلًا مجرداً، بل عقل يعمل ضمن أفق أخلاقي، يتطلب التهذيب المستمر والانفتاح على نور الوحي.

وهو ما يؤكّده أيضاً المفسر ناصر مكارم الشيرازي، الذي يشير إلى أن العلم في القرآن لا يُثمر كمالاً إلا إذا توافر له سياق سلوكي يؤهّله للانتقال من مرحلة التصوّر إلى مرحلة التحقّق.[96]

أما قوله تعالى: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)**[97]، فيُعدّ تتويجاً لهذه الرؤية القرآنية، حيث يرى مطهّري أن العلم في هذه الآية يُقاس بقدرته على إثارة الخشية، أي على إحداث تحوّل في النفس يقود إلى تعظيم الله والانضباط أمام شرعه.

وبهذا المعنى، يكون العالِم هو الذي يجمع بين الفهم العميق والعمل الصالح، لا من يكتفي بالتجريد النظري. ويشرح الطباطبائي هذا المعنى بأن الخشية هنا ناتجة عن إدراك معرفي حقيقي لعظمة الخالق، وأنها ثمرة لازمة للعلم الصادق الذي يتجاوز الظواهر إلى البواطن.[98]

انطلاقاً من هذه الآيات ومقاربتها التفسيرية، يتّضح أن مطهّري لا يتعامل مع القرآن كنصّ نظريّ، بل كنظام متكامل لإصلاح الإنسان وبنائه من الداخل. والمعرفة القرآنية، في هذا السياق، ليست غاية قائمة بذاتها، بل هي أداة لإحداث تحوّل وجودي في الإنسان، يربط العقل بالسلوك، والمعرفة بالإيمان، والفكر بالوجدان.

وهكذا تتأسس عند مطهّري رؤية معرفية أصيلة تجعل من القرآن مشروعاً لبناء الإنسان العارف العامل، لا مجرد مصدر للمفاهيم النظرية.

---

[91] القرآن الكريم، سورة الجمعة، الآية 2

[92] مطهّري، النبوة، مرجع سابق، ص 21–22

[93] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج19، ص264

[94] القرآن الكريم، سورة الشمس، الآية 9

[95] مطهّري، الإنسان الكامل، مرجع سابق، ص 29

[96] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مرجع سابق، ج20، ص 237

[97] القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية 28

[98] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج17، ص 43

5- الجمع بين العقل والنقل في تفسير القرآن الكريم:

يُعدُّ الشهيد مرتضى مطهّري من أبرز المفكرين الإسلاميين الذين رسخوا فكرة التكامل بين العقل والنقل في تفسير القرآن الكريم، معتبراً أن كلا المصدرين يشكلان معاً نسيجاً متكاملاً لفهم الحقائق الإلهية. فقد بيّن في مؤلفاته أن العقل ليس مجرد أداة مساعدة، بل هو وسيلة جوهرية لفهم النص القرآني واستيعاب مقاصده، لكنه في الوقت نفسه لا يمكن أن يكون حَكَماً مطلقاً مستقلاً عن الوحي، بل يجب أن يعمل في إطاره حتى لا يقع في الزيغ أو التأويل البعيد.

ويحذّر مطهّري من مغبّة العقلانية المطلقة التي ترفض الغيب أو تحاول تفسير النصوص الدينية بمعزل عن مراد الله سبحانه وتعالى، مشيراً إلى أن العقل البشري، وإن كان نعمة عظيمة، إلا أنه محدود بطبيعته، وقد ينحرف إذا تجاوز حدوده ولم يخضع للهداية الإلهية[99]، كما يُستفاد من قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)**[100] مما يؤكد أن الإيمان الصحيح لا يتحقق بمجرد الجهد العقلي، بل يحتاج إلى توفيق من الله يقترن بالعقل المستنير.

فالآية الكريمة السابقة تُظهر حقيقة عميقة مهمة، وهي أن الإيمان الحقيقي لا يتحقق بمجرد إرادة الإنسان، بل لابد من توفيق الله وإذنه، فهو المالك الحقيقي للكون، وله السلطان المطلق في هداية مَن يشاء. وكل مَن قصّر في استخدام فكره للوصول إلى الحق، سيتم حرمانه بذلك من نعمة الهداية [101].

فالجمع في الآية بين ضرورة التوفيق الإلهي ووجوب استخدام العقل يُبرز عدل الله وحكمته، حيث يهدي مَن يبذل الجهد في طلب الحق، ويُخيّب مَن يُعرض عن التفكّر والتدبّر.

ويتجلى هذا التوازن في القرآن الكريم نفسه، حيث نجد آيات كثيرة تجمع بين تحفيز العقل على التدبر والتأمل، وفي الوقت نفسه تؤكد ضرورة الخضوع للتوجيه الإلهي. ففي قوله تعالى: **(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ)** [102]، حيث يقدم مرتضى مطهّري تفسيراً عميقاً للآية، مؤكداً أنها ليست مجرد دعوة للهروب من مشقّات الدنيا، بل هي رحلة روحية نشطة نحو الخالق كمحور للوجود ومَأوى للحقيقة. ففي رؤيته، هذا الفرار يُعتبر تحوُّلاً إيجابياً من التعلّق بالعابر إلى الارتباط بالباقي، ومن التيه في الماديات إلى الوصول للسلام الروحي.

أما على المستوى الفلسفي، تكشف الآية الكريمة السابقة الرابطة الوجودية بين الإنسان وربّه، فالهروب إلى الله تعبير عن الإدراك الفطري بأنه الملجأ الحقيقي. وهذا المفهوم يتقاطع مع الفكر الإسلامي الذي يرى أن سعي المرء نحو الحق يقوده حتماً إلى الخالق، خاصةً في سياق الآيات التي تُنكر الأصنام وتُظهر عجزها.

وهكذا يصبح الفرار إلى الله رحلة من الضياع إلى اليقين، ومن التفرقة إلى الوحدة، مما يكشف عن البعد الحكيم للقرآن في توضيحه لمسار الإنسان نحو الاكتمال المعنوي في ظلّ العناية الإلهية.[103]

وكذلك الأمر في قوله تعالى: **(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)** [104]، يوجد حثّاً صريحاً على استخدام العقل في استكشاف سنن الكون، لكن هذا الاستكشاف لا ينفصل عن الإيمان بأن الله هو خالق هذا الكون ومدبره. [105]

---

[99] مطهّري، التعرف على القرآن، مرجع سابق، ص 64

[100] القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 100

[101] المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مرجع سابق، ج5، ص 129

[102] القرآن الكريم، الذاريات، الآية 50

[103] الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية، دار الحديث، قم المقدسة، إيران، 1425هـ، ج3، ص 181

ويتناول مرتضى مطهّري في تفسيره للآية السابقة رؤية فلسفية ثرية، معتبراً أن الخطاب الإلهي لا يقتصر على مجرد الحث على ملاحظة الظواهر الطبيعية، بل يتعداه إلى دعوة العقل البشري للغوص في كينونة الوجود والبحث في أسرار نشأته. فالسير في الأرض يمثل رحلة فكرية وعملية لاكتشاف القوانين التي أودعها الله في الكون، بينما النظر في بدء الخلق يُمثِّل دعوة لفهم السنن الإلهية التي تحكم مسيرة الحياة.

كما ويبين مطهّري أن القرآن بهذه الآية يربط بين البحث العلمي المنهجي والإيمان الروحي، حيث أن التعمق في دراسة الخليقة يقود حتماً إلى التعرف على الحكمة الإلهية الباهرة، فيصبح الكون بمثابة كتاب مفتوح يشهد على عظمة الخالق وقدرته.

خاتمة

في نهاية هذا الفصل، يتضح أن رؤية الشهيد مطهّري في معرفة القرآن ومناهجه تمثل إضافة معرفية قيمة في حقل التفسير القرآني. فقد أسس فهمه للنص القرآني على قاعدة متينة تجمع بين العقلانية والروحانية، مستنداً إلى التراث الإسلامي مع احتضان منظور متجدد قادر على استيعاب أبعاد النص المختلفة. وقد اتسمت منهجيته التفسيرية بالتوازن بين الالتزام بالنص والمرونة في التأويل، مع نقد جاد لعدد من المناهج التي رآها غير متسقة مع جوهر القرآن وروحه.

وهذا المزيج من التقارب والاختلاف بين منهج الشهيد مطهّري والمقاربات الهرمنيوطيقية الحديثة يفتح آفاقاً جديدة لتعميق الحوار بين الفكر الإسلامي والفلسفات المعاصرة، ويثري فهم القرآن كنص متعدد الأبعاد، يجمع بين الثبات في جوهره والمرونة في تفاعله مع الواقع، بين الإرث والتجديد

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم
2- الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ت، ج1
3- الحكيم، السيد محمد باقر، القصص القرآني، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم المقدسة، إيران، 1374هـ، ج1
4- الخميني، السيد روح الله علي، صحيفة الإمام، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (رض)، طهران، إيران، 1429هـ، ج11
5- الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية، دار الحديث، قم المقدسة، إيران، 1425هـ، ج3
6- ريكور، بول. صراع التفسيرات. مطبعة جامعة نورث وسترن، 1974م
7- السبحاني، الشيخ جعفر، الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، إيران، د.ت، ج3
8- السبحاني، الشيخ جعفر، رسائل ومقالات، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، إيران، د.ت، ج1
9- السبحاني، الشيخ جعفر، مفاهيم القرآن (العدل والإمامة)، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، إيران، 1420هـ، ج10

---

(104) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 20

(105) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص 222

10- السند، الشيخ محمد، الرأي الآخر في الوحدة التقريب قواعد فقهية وعقائدية، مؤسسة باقيات، قم المقدسة، إيران، 1429هـ، ج1
11- السيفي المازندراني، الشيخ علي أكبر، دروس في القواعد التفسيرية، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة، إيران، د.ت، ج1
12- السيوطي، جلال الدين، الدار المنثور، دار الفكر، بيروتي، لبنان، د.ت، ج6
13- شريعتي، علي، العودة إلى الذات، حسينية الإرشاد، طهران، إيران، 1972م
14- الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، دار المفيد، ط2، 1414هـ
15- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قم المقدسة، إيران، 1404هـ ، ج1
16- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قم المقدسة، إيران، 1404هـ ، ج16
17- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، نفحات الولاية، مدرسة الامام علي بن ابى طالب عليه السلام، قم المقدسة، إيران، 1426هـ، ج3
18- الصدر، السيد محمد باقر، اقتصادنا، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي- فرع خراسان ، قم المقدسة، إيران، 1425هـ، ج1
19- الصدوق، الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي، التوحيد، جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران، د.ت، ج1
20- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1980م، ج11
21- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1980م، ج12
22- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1980م، ج13
23- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1980م، ج17
24- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1980م، ج19
25- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1980م، ج18
26- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن جوامع الجامع، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، ط1، 1418هـ، ج1
27- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، 1415هـ، ج8
28- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، 1415هـ، ج1
29- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، 1415هـ، ج10

30- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، 1415هـ، ج7
31- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر ، 1422هـ، ج22
32- الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطبعة إسماعيليان، طهران، إيران، ج8
33- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج10
34- الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الاعلام الإسلامي، ط1، 1209هـ، ج9
35- الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الاعلام الإسلامي، ط1، 1209هـ، ج3
36- الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الاعلام الإسلامي، ط1، 1209هـ، ج8
37- الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الاعلام الإسلامي، ط1، 1209هـ، ج1
38- العاملي، جعفر مرتضى الحسين، أهل البيت (ع) في آية التطهير، د.ن، قم المقدسة، إيران، 1412هـ، ج1
39- عبد الله، التعددية التأويلية في النص القرآني: رؤية حديثة، مجلة الدراسات الإسلامية
40- العلامة الحلي، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، قم المقدسة، إيران، 1404هـ، ج1
41- الفضلي، عبدالهادي ، الهرمنيوطيقا والنص الديني: قراءة مقارنة، مجلة الفكر الإسلامي، 2017، العدد 12، ص 115
42- الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الأصفى، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم المقدسة، إيران، 1418هـ، ج1
43- الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الصافي، مؤسسة الهادي للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ط2، 1416هـ، ج3
44- الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الصافي، مؤسسة الهادي للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ط2، 1416هـ، ج4
45- الفيض الكاشاني، محمد، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، 1417هـ، ج6
46- الفيض الكاشاني، محمد، عين اليقين الملقب بالأنوار والأسرار، مؤسسة أنوار الهدى، قم المقدسة، إيران، ط2، 1428هـ، ج 2
47- القمي، الشيخ أحمد الآذري، تحقيق الأصول المفيدة في أصول الفقه، مؤسسة دار العلم للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ج1
48- كسار، جواد علي، الاتجاه الظهري في فهم القرآن، نشره المرجع الإلكتروني للمعلوماتية، 2015م
49- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، 1407هـ، ج1

50- مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مفهوم الاجتهاد والهرمنيوطيقا في الفكر الإسلامي المعاصر، 2020م، 78
51- المجلسي، الشيخ العلامة محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، 1403هـ، ج67
52- المجلسي، الشيخ العلامة محمد باقر، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، د. ت، ج26
53- المجلسي، الشيخ العلامة محمد باقر، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، د. ت، ج9
54- المجلسي، الشيخ العلامة محمد باقر، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، د. ت، ج25
55- المدرسي، السيد محمد تقي، بحوث في القرآن الحكيم، دار محبي الحسين عليه السلام، طهران، إيران، 1424هـ
56- المرزوقي، أبو يعرب، الهرمنيوطيقا وتفكيك النص الديني، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، لبنان ، 2001
57- مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دراسات عقائدية النبوة والإمامة والمعاد في فكر الشهيد مطهّري قدّس سره، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط1، 1441هـ
58- مطبعة جامعة كامبريدج، علم التأويل والعلوم الإنسانية، كامبريدج، 1981م
59- مطهّري, مرتضى، الإنسان الكامل، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة، بيروت، لبنان، د.ت
60- مطهّري، مرتضى، الإمامة، ترجمة: جواد علي كسّار، دار الهدى ، طهران ، إيران، ط 4 ،2007م
61- مطهّري، مرتضى، التعرف إلى القرآن الكريم، منظمة الإعلام الإسلامي، إيران، 1987م
62- مطهري، مرتضى، النبوّة، ترجمة: جواد علي كسّار، دار الهدى ، طهران ، إيران، ط 4 ،2007م.، ج1
63- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1979مـ ،ج2
64- مؤسسة دائرة المعارف فقه إسلامي، فقه أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة دائرة المعارف فقه إسلامي، ط1، 1423هـ، ج41